الفصل الرابع

البعد السوسيولوجي للحرب

المبحث الأول / الحرب والتعايش السلمي

المبحث الثاني / العامل الاجتماعي والثقافي

المبحث الثالث / المحتوى الديني

الفصل الرابع

البعد السوسيولوجي للحرب

التمهيد

ان العراق بلد متنوع القوميات ومتعدد الاثنيات ومختلف اللغات، وهذا ما جعل منه بلدا يختلف في مميزاته عن الكثير من بلدان العالم، ولعل روح الوطنية الواحدة التي تجمع سكانه جعلت من ذلك التميز أكثر بريقا وجمالا، أن العراق رغم ما عاناه من حروب ومشكلات الا أن النسيج الاجتماعي مازال واقفا يعلو في الأفق، وما زالت طينة المحبة العراقية والتالف والتعايش السلمي تزداد تماسكا رغم التغيرات المناخية التي تعصف بها من كل جانب ومن مدة الى اخرى، ومن هذا المنطلق ارتاى الباحث ان يوضح طبيعة التعايش السلمي في المجتمع العراقي.

المبحث الأول

الحرب والتعايش السلمي

إن ما يميز سكان المجتمع العراقي التنوع ألاثني والثقافي فيسكن العراق،(العرب، والكرد، والتركمان، والايزيدية، والمسيحية.... وطوائف اخرى)،

هذا التنوع العرقي والاثني جعلت من العراق ارض خصبة للتعايش السلمي فلم يشهد العراق الحديث تفرقة طائفية او عرقية او دينية، بل كان سكان العراق يعيشون في مبدا واحد وهو الوطنية الواحدة (العراقية)، فالملاحظ للمجتمع العراقي ان هناك الكثير من التلاحم الاجتماعي بين اطيافه، ومكوناته، فانتشار ظواهر الزواج بين مكوناته، وحسن التعامل والأخوة والجيرة، والتعاون في الضراء والسراء، إلا أن الحرب في إفرازاتها السامة استهدفت جسد (الوطنية الواحدة_ العراقية) بسمومها التي حاولت تفسيخ هذا الجسد الواحد الى أشلاء متنافرة.

فعلى الرغم من انتشار القتل الطائفي والعنف الدموي على الهوية، وعلى الانتماء الديني، والانتماء العرقي... وغيره، هذا العنف الدموي عصف بحياة الملايين من سكان العراق، مما ترك اثرا في نفوس العراقيين، فبات الخوف والقلق يسود سكان المجتمع العراقي بكل أطيافه فلم يسلم أي طيف من موجات العنف، فموجه تعصف بطائفه، تقابلها موجه تعصف بطائفة أخرى وهكذا حال سكان العراق مما أصبح شبح الموت يطرق كل باب بغض النظر عن لونه وشكله.

الا ان الوعي الثقافي والمعرفي والأخلاقي والديني لسكان المجتمع العراقي جعلت منهم ينتبهون الى تلك الموجات فالتعايش السلمي بين فئات المجتمع سمة قديمة عمرها الاف السنين، فعلى سبيل المثال لا الحصر _ تجد ان المحلة العراقية الواحدة(مجموعة دور تسكنها اسر تسمى محلة) تسكنها عدة طوائف وقوميات واثنيات مختلفة تجمعهم الود وحسن الجيرة والتعاون والمشاركة في المناسبات (الاعراس، والعزاء)

مظاهر التعايش السلمي

1. الزواج

يعد الزواج بين الثقافات والأعراق المختلفة مظهر رئيسي من مظاهر التعايش السلمي، لانه يقرب العلاقات ويقوي دعائم التآصر بين افراد المجتمع الواحد. فالقرابة بالمصاهرة سمة رئيسة في المجتمع العراقي، على الرغم من انتشار زواج الاقارب في المجتمع العراقي بشكل كبير جداً الا ان ذلك لا يعد عائقا امام الزواج الخارجي (خارج القرابة) وان المجتمع العراقي ينتشر فيه هذا النوع من الزواج، لعدة اسباب حسب رأينا أهمها:-

1. الوعي الصحي لدى ابناء المجتمع، في انتشار امراض الطفولة الوراية بسبب زواج الاقارب كـ (مرض اليرقان الدائم، ومرض

الثلاسيميا....وغيرها)، مما يؤثر في التكوين البيولوجي والجسمي للطفل ويؤدي الى العاهات المستديمة ومن ثم الموت.

2. الوعي التعليمي والثقافي.

3. التملص من بعض العادات والتقاليد القديمة السائدة في الزواج.

هذه العوامل كانت نقلة في أسلوب الزواج في المجتمع العراقي، على الرغم من ان الحرب اثرت في انتشار أعمال العنف الدموي بين سكان العراق الا إننا نجد ظاهرة الزواج بين اطياف المجتمع العراقي سائدة بشكل كبير وان تأثرها في المظاهر الجديدة والاستثنائية للمجتمع كانت محدودة ومقتصرة على فئات من السكان الجاهلين والمتعصبين نوعا ما.

فمازالت الأعراس تتم بين الجيران على الرغم من اختلاف العادات والتقاليد والاعراف بينها، ان ذلك لا يقف عائقا امام التعايش السلمي بين فئات المجتمع العراقي .

2. الجيرة

تعد علاقات الجيرة السائدة في المجتمع العراقي بكافة فئاته مظهر من مظاهر التعايش السلمي الحقيقي، فالتعاون سائد بين الجيران، في كافة المناسبات (الافراح، والاحزان)، فضلا عن التواصل المستمر بين الجيران في الزيارات اليومية والزيارات الخاصة في المناسبات.

بل وان الكثير من الجيران تحدث بينهم حالات الزواج كما اسلفنا، هذا دليل الوعي الاجتماعي والأخلاقي بين سكان المجتمع العراقي، فضلا عن فان المجتمع العراقي اكثر من (96%) من سكانه هم من الديانة الإسلامية التي تنص في شرائعها وأحكامها على حسن الجيرة والتعاون والتآخي بين الجيران. ولا يختلف الحال عند باقي الديانات الأخرى فالدين المسيحي هو أيضا ينص في تشريعاته وتعليماته على حسن الجوار والتعامل والمحبة.

فمن يدخل المجتمع العراقي يرى جذور الجيرة الحسنة ممتدة من جيل إلى آخر فالعادات الاجتماعية تقتضي بمساعدة الجار وحسن التعامل وتبادل الزيارات بعض النظر عن الانتماء القومي والعرقي.

3. المشاركة في الأفراح والأحزان

سمة أخرى من سمات المجتمع العراقي التي تجسد أجمل صور التعايش السلمي بين مكونات هذا المجتمع، فطبيعة العادات الاجتماعية تقتضي على المشاركة المتبادلة في الأفراح والأحزان، فنرى في أي مراسيم كان (الزواج، أو الوفاة) تجتمع النساء في بيت صاحب المناسبة، ويقومون بمساعدتهم في الطبخ وتقديم الخدمات للحاضرين، وكذلك الرجال أيضا يقدمون المساعدات الخدمية، بل وحتى البعض منهم يتبرع في فتح بيته للناس الحاضرين للمشاركة في المناسبة ويقوم بتقديم كافة الخدمات الى الحاضرين.

هذا الاندماج الاجتماعي ينقل صورة المجتمع الواحد المتعدد الطوائف والأعراق من خلال تبادل المشاركات في المناسبات السعيدة، او الحزينة، وخاصة في السنوات الأخيرة زادت هذه الظاهرة بشكل كبير وخاصة من انتشار حالات الـ□زن بسبب القتل الذي □صد الكثير من أرواح الأبرياء.